مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 14 العدد: 01 السنة 2022 ص 529 - 548

تاريخ الإرسال: 2021/09/13 تاريخ القبول: 2021/10/02
تاريخ النشر: 2022/03/17

تداوليّة الخطاب التربويّ التعليميّ
– مقاربة وظيفيّة تواصليّة-

The pragmatic educational didactic discours
-functional communicative approach-

د. عباس حشاني
جامعة جيجل (الجزائر) abbachachani@yahoo.fr

الملخص:

تَطْرُقُ هذه الورقة البحثية نفعية الخطاب التربويّ التعليميّ من خلال مقاربة وظيفيّة اتصاليّة ؛ إذ يضطلع هذا الخطاب بقضايا تداولية– حجاجٌ وإقناعٌ وفعلٌ كلاميٌّ وإستراتجية تخاطبيّة– وباعتباره أحد أهم الخطابات التّي تقوم عليها المجتمعات بفعاليته وتفعيله لوظائف كبرى، التي يقوم عليها الاتصال والتواصل البشري، وسعيه لتحقيق جملة أهداف في مضمار عمليتي تربية وتعليم.

تهدف هذه الدراسة إلى تناول الخطاب التربوي التعليمي من منظور تداوليّ اتصاليّ، وتتوخى فائدةً إلى بيان علاقات النّسب ووشائج القربى بين اللسانيات التطبيقية والتداولية ،من خلال كشف حجاجيّة الخطاب التعليمي، ونفعيّة الفعل التربوي وحجم الإقناع في عملية التدريس، وما يتطلبه من استراتجيات تخاطبيّة نستشفها من طرائق التدريس وعناصر العملية التعليمية، وخلصت الورقة نتيجةً إلى أنّ النهوض بالخطاب التعليمي تطويرا ونفعيةً. غايةٌ يجب طلبها فيما أفاضت فيه

التداولية نظريات ومناهج ودمجها وظيفيّا في التعليميّة، لتحقيق أهداف التربية والتعليم.

الكلمات المفتاحية: التداولية – الخطاب– التعليم – التواصل – التدريس – الإقناع.

Abstract:

This article, treats the educational of didactic discourse, through a communicative functional approach in which its related to pragmatic issues persuasion, speech act and conversational strategy ,also its considered one of the most important discourses societies are based on ,activating great functions which is established by connection and communication and its pursuit to accomplish purposes in education and didactic path.

This study aims to take the educational didactic discourse, from a communicative pragmatic persrective targeting its relations by revealing didactic discourse, educational act value ,persuasion in demonstation operation and what it takes of conversational strategies cleared in teachting process and methods. this summary entend to promote educational discourse by using theories and methods to achieve education goals.

Key words: pragmatic - discourse - education - communication - teaching- persuasion.

المؤلف المرسل: د عباس حشاني، ABBACHACHANI@YAOO.FR

مقدمة:

التداوليـة علـم يفـرض هيمنتـه انفتاحـا علـى مختلـف العلـوم والخطابـات لاسـيّما التربيّـة والتعلـيم، إذ تكمـن طبيعـة التـداول فـي الخطـاب التربـويّ التعليمـيّ، فـي أنّـه خطاب يُقيم علاقة تخاطبيّة اتصاليّة تواصليّة وظيفيّة مع الآخر ، تُبنى على أساس أنّ الكلام جوهر العمل التداولي، يروم المتكلم المعلّم أهدافا مسبقة يُجسدها بالتأثير

على المتلقي المتعلم بإحداث أثر فيه، متوسلا في ذلك عنصر التدريس، واختيار طرائق ناجعة في توصيل المادة التعليميّة.

تَعقدُ التداولية علاقات وظيفيّة باعتبار التدريس عملية إقناعية، قوام هذه العلاقة أبعادها الاجتماعية وأهداف ذاتية، وعليه تظهر الإشكالية: كيف تُوظَف النظريات التداولية في العملية التعليمية للنهوض بخطاب تعليمي ناجح؟

يعمد البحث هدفا إلى بيان تجليات النظريات التداولية في الخطاب التربوي التعليمي حجاجا وفعلا كلاميّا ، واستراتيجية ، واقتضى اعتماد المنهج التداولي المنهج الوصفي، للكشف عن ماهية الخطاب التعليمي المبنيّ على فعالية الإقناع.

1- مفاهيم تداوليّة عامة ومصطلحات تعليميّة:

1-1- الخطاب:Discours

الخطاب كلام مُوجه يقتضي تفاعلا تداوليا، بطبيعة تواصلية مباشرة منطوق، وغير مباشرة مكتوب، و صفة التحاور في الأولى وصفة التراسل في الثانية، ويرد بمفهوم الكلام والوسيلة التخاطبية لغةً « خاطبه بالكلام...الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب»[1]، وتسند له وظيفة الإفهام، وهي منوطة بالمتكلم نحو متلق الذي تُعزى له بدوره وظيفة الفهم، كونهُ « اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه.»[2]

صفته القصديّة لأنّه « كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا»[3]، وظيفته الإفهاميّة لأنّ الكلام الذي يخلو من القصدية تنتهي وظيفته، نسقيُّ المفهوم لأنه في تعالق بالذهن والتعبير، فالذهن مؤداه التفكير ثم التعبير ، نستعمله بالقوة أو بالفعل إنّه نظام التكلم والتفاعل في مواقف تواصلية، في جوانب معرفيّة أو في مجال من الحياة[4]، ويعُدّ الخطاب كل ملفوظ أو مكتوب تتبني منه وحدة تواصلية قائمة الذات[5]، يتعلق الخطاب بالمؤسسة الاجتماعية؛ لأنّه يُكوِّن

« شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام »[6]، كما يتوفر الخطاب على قوة إقناعية تأثيرية كونه « كل تلفظ يقتضي متكلما وسامعا ، حيث يتوفر الأول على قصد التأثير على الغير بصفة ما»[7].

يُعدّ الخطاب التربوي التعليميّ فعلا اجتماعيّا مُؤَسِّسًا، ويرد الخطاب في جملة أنواع نذكر منها ما يُلامس فِعليْ التربية والتعليم وظيفيّا، وهي أنوع مصنفة عبر نظام من الثنائيات: الخطاب التربوي والتعليمي ،الخطاب الحجاجي والإقناعي، الخطاب المعرفي الإنساني ، الخطاب التواصلي الاتصالي...

1-2- التداولية :

هي لسانيّات حديثة وظيفتها تحليل الخطاب ،وتبحث في علاقة الممارسات الكلاميّة بمستعمليها و وظائفها والتواصليّة ، تُعنى بطرائق استعمال الكلام في جانبه الاتصالي والتواصلي والوظيفي، وتهتم بالقيّم الاجتماعيّة والنفسية، هي حقل معرفيّ شاسع طبيعتها الانفتاح « يضم اللّسانيات والاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس الاجتماعي»[8]، تعدد مهامها وطرق معالجتها للكلام، وهي بهذا تتعدى تلك الكينونة اللّغويّة في الوجود البنيوي والحيّز المغلق عنها، إلى كلّ ما يحيط بعمليّة التواصل من ظروف محيطة داعمة.

تشترك التداوليّة واللّسانيات الاجتماعيّة وغيرها في دراسة ما يرتبط بفعل التعليم، وترتبط بعلم النّفس المعرفي حين سلطت الضوء عن اللّغة والإدراك[9]، هي علم يهتم « بتحليل الأفعال اللّغويّة، ووظائف المنطوقات اللغويّة وسماتها في عملية الاتصال بوجه عام»[10] ،كون المنطوق الكلاميّ تشكيل للاتصال ضمن تفاعل اجتماعي؛ إذ يرتبط الكلام التعليمي بوصفه قانونا صارما يشرع لا للتفكير والتواصل فحسب بل وللسلوك كذلك [11] ، تكمن نفعية تجاوز التواصل نحو السلوك والأثر

الواقعي في تمكين الإنسان التعرف على الأشياء وفهم أسرار الكون، وهي مرحلة مهمة تلي مرحلة التواصل، ولا تتمّ إلاّ بعد حدوث تواصل بين أفراد هذا المجتمع[12]، تؤسس التداولية دعامة من النظريات تخدم الخطاب التعليميّ الذي أصله فعل حجاجيّ إقناعي يُوجه إلى متلق متعلم معين.

1-3- الوظيفيّة :

الوظيفيّة مدرسة لسانيّة يتولد منها منهج وظيفيّ ، وتُعدّ« مدرسة براغ أفضل من يمثّل الاتّجاه الوظيفي في دراسة اللّغة»[13]؛ إذ تُعنى الوظيفيّة بالبعد النفعيّ للّغة متمثلا في كيفيّات استخدام الكلام اتصالا وتّواصلا لأهداف ومقاصد عمديّة ؛ إذ تحقق اللّغة أغراضا متعددة كالتّعبير عن الفكر والأحاسيس والمعتقدات، والتأثير في الغير بإقناعه أو ترغيبه أو ترهيبه، كل هذه الأغراض تتحدّ في وظيفة التواصل.[14]

مُؤدى هذا أنّ المتكلم حين استعماله لخطاب يُراعي فيه الوظيفة وفحواه ، ثمّ القصد منه، ثمّ موقفه من هذا الاستعمال[15]؛ لأنّ اللّغة تراعي « الخصائص التّي تخدم إنجاز التّواصل وأهدافه ومختلف أنماطه »[16]، ومنه يتحدد منهج الوظيفيّة من« تحديد اللّغة باعتبارها نظاما وظيفيّا، يهدف إلى تحقيق التّواصل والتّعبير»[17]، وتُعنى الوظيفة تحليلا بالخطاب والخطاب التربوي التعليمي- خاصة- على اختلافه واختلاف طرائق تبليغه وتوصيله.

1-4- التربية:

تكوّن خطابا تربويّا حقله« الكلام الذي يدور حول التربية وأوضاعها وقضاياها ومشكلاتها وهمومها ، سواء أكان هذا الكلام شفويا أم كلاما مكتوبا، وسواء أكان هذا الكلام تعبيرا عن فكر علمي منظم أم كلاما مرسلا عاما »[18]، تتجسد نفعيته باستعمال الخطاب التعليمي في البناء والتكوين وتلبية غايات تعود بالفائدة العامة على الأفراد والمجتمعات.

براغماتيّة المفهوم كونها وسيلة « لإعداد النشء للدين و الدنيا في آن واحد، و تكوينه عقليا وخلقيا و جعله قادرا على اكتساب صناعة تناسب ميوله و طبيعته، و تمكنه من كسب عيشه»"[19]، يندرج ضمن ما يكتسبه المتعلم من صناعات مهاراتٌ كالقراءة والحديث والكتابة والفهم، ويحيلنا هذا لعلاقة التداولية بالخطاب التربوي كونها نظرية اجتماعية، تتعلق بعلوم كعلم الجمال ذلك « أن التربيّة هي إعطاء الجسم و الروح كل ما يمكن من الجمال و الكمال »[20]، قد يكون الجمال في حسن الكلام والأسلوب وإصابة عين المعنى، وهي« إعداد العقل لكسب العلم .»[21]

تنمويّة لأنّها تبحث في« تنمية كل قوى الطفل تنمية متلائمة »[22]، وهي ممارسه « الأجيال الأكبر سنا على الأجيال التي لم تستعد بعد للحياة الاجتماعية و هدفها تنمية تلك الجوانب الجسمية و العقلية و الخلقية للطفل التي يطلبها منه كل من المجتمع و البيئة التي أُعدّ من أجلها» [23] ، تتعلق التربية بعمليات « نمو و تعلم و عملية بناء و تجديد مستمرين للخبرة وعملية اجتماعية.»[24]

من منظور غاياتها هي« عملية اجتماعية تهدف الى مساعدة الأفراد على النمو الشامل لشخصياتهم ، بحيث يستطيعون القيام بأدوارهم الاجتماعية والعيش في المجتمع المشاركة »[25]، والتربيّة أنواعٌ: التربية التلقائية ، والتربية غير النظامية والتربية النظامية، هذه الأخيرة تمثل موضوع بحثنا– وهي ما يكتسبه الفرد من معارف ومهارات من المؤسسات التعليمية[26]، والتربية أشمل من التعليم فهو أداتها التي تلبي به حاجاتها، نخلص إلى أنّ التربية تداولية في بعدها الإنساني التكويني البنائي رافدها اجتماعي نفعي وظيفيّ، وهي عملية مستمرة تكاملية تسعى لتكوين الفرد والنهوض بالمجتمعات.

1-5- التعليم:

يشترك مفهوم التعليم والتداولية في حقل النفعية، والتعليم حقل خصب تعده التداولية لممارسة نظرياتها في سبيل تطويره، من خلال مراعاة نفعية فعل التدريس وطرائقه ووظيفة المعلم والمتعلم وجدوى المادة التعليميّة، هو إجراء عمليّ « يستخدم سيكولوجيا التّعلم بالإضافة إلى علوم أخرى من أجل تحديد هدف معين.»[27]

فعل التعليم فعل تداوليّ يتوسل فيه المعلم توصيل مجموعة معارف ، وتهتم به التعليمية التي تعدّ فرعا من فروع التربية مادتها« خلاصة المكونات والعلاقات بين الوضعيات التربوية ، وموضوعاتها ووسائطها ووسائلها وكل ذلك في إطار وضعية بيداغوجية»[28]، تؤسس التعليميّة لخطاب تعليميّ تواصليّ به تُحصّل فائدةً ذاتية أو عامة، وهي« الدراسة العملية لطرق التدريس و تقنياته، و أشكال تنظيم مواقف التعليم التي يخضع لها المتعلم قصد بلوغ الأهداف المنشودة سواء على المستوى العقلي المعرفي او الانفعالي الوجداني أو الحسي الحركي المهاري.»[29]

استعمال الخطاب التعليمي يستدعي آليات تداولية تتظافر في تبليغ عملية التعليم ؛إذ ترتبط التعليمية أساساً بالمواد الدراسية من حيث محتوياتها وكيفية التخطيط لها، فهي تضع المبادئ النظرية والضرورية لحل المشكلات للمحتوى والطرق وتنظيم التعلّم.

تحت عباءة التربية تتحدد رؤية جديدة مفادها أنّ التعليمية شق من البيداغوجيا – فن التربية– موضوعها التدريس ، وأنها نهج ، أو بمعنى أدق: أسلوبٌ معين لتحليل الظواهر التعليمية[30]، ضمن أبعاد سيكولوجية ممثلة في شخص المتعلم، وأبعاد بيداغوجيّة ممثلة في شخص المعلم، وأبعاد معرفية ممثلة في طبيعة المادة العلمية، تتداخل هذه المكونات تداوليا وبيداغوجيا تفاعلا وتظافرا نفعيا باعتبار الخطاب التعليمي كيان اتصاليّ وتواصليّ مصنوعٌ بشكل عمدي ومهندس.

نخلص إلى أنّ التعليمية هي مجموع نشاطات منتظمة، تهدف إلى تكوين فرد أو جمهور متعلم يتأثر ويؤثر بمعارفه، إيجابا وسلبا في مجريات الحياة.

1-6- التدريس:

هو مجموع الأنشطة الإنسانية الهادفة وفق تخطيط مسبق، تُمكّن المتعلم من اكتساب خبرات وقدرات لمصلحته، وهو وظيفة تداولية تُسند للمعلم يعتمد على التواصل والاتصال وسيلةً، وعلى التأثير والإقناع نتيجةً .

التدريس عمل حجاجيّ لاستخدامه الآليات الإقناعية اللغوية وغير اللغوية، في سبيل ترسيخ تلك المعارف في أذهان المتعلمين، عبر إجراءات فعالة ديناميكيّة تستند إلى عناصر العملية التعليمية، وهو عملية تقديم « الحقائق والمعلومات والمفاهيم للمتعلم داخل الفصل الدراسي»[31]، وهو نشاط تعليمي علميّ مقصود يتضمن طرائق تُجسّده واقعيا ، ويستند لمناهج ومراحل تُخَوِّلُه لبلوغ مقاصده وغاياته.

يتظافر التدريس والتعلّم في خدمة المتعلم في سبيل الفهم والاستيعاب والاكتساب؛ إذ أنّ التعلم الحقيقي هو النابع« من أفكار المتعلّم ذاته، فهو بهذا الفهم قد تعلّم في الواقع أكثر من مجرد الاستجابة للمثير الخارجي»[32]؛ وهذا نتاج تفاعل فعل التدريس و عناصر العملية التعليمية ، ومنه تفرض التداولية سلطتها على فعل التدريس فنجد الإقناع في آلياته و طرائقه.

2- تَمَظْهُرات التّداول في الخطاب التربويّ التعليميّ:

تُلقي التداولية بظلالها –نظريات ومناهج واستراتجيات– على الخطاب التربويّ التعليمي، كونه خطاب هادف يُغيّر من طبيعته حين الاستعمال على حسب حالة المتعلمين، فيأخذ المجرى الخطابي الملائم ،إنّه ممارسة تداولية ، سيكولوجية سوسيولوجية، عقلية عاطفية.

2-1- الحجاج في الخطاب التعليمي:

يتأسس الحجاج انطلاقا من المعلم لأنّه مُطالب بدعم المعلومة بحجج وبراهين تجعل المتعلم المُحَاجَج يستقبل تلك المعلومة بالقبول، وتكمن وظيفة الحجاج في« حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه، أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع » [33] ، هو فعل اتصاليّ « يستخدم فيه المنطق للتأثير في الآخرين» [34]، فالخطاب التعليمي مبنيّ على إقناع المتعلم بصحة المحتوى المعروض؛ إذ الحجاج هو« كلّ منطوق به، موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها »[35]، والمحتوى التعليمي يشكل معطيات أولية (مقدمات) ،ثم تُثَّبت بالدلائل والحجج لترسيخه في الأذهان.

حجاجيّة المتعلم كامنة في خصوصيتة « حينما يتعلق الأمر بحجاج يعني فئةً معينة دون سواها، وكذلك حينما يكون حجاجا يخص إطارا معينا دون سواه»[36] ، فخطاب التعليم خطاب مخصوص لطور من الأطوار التعليمية: الابتدائي والمتوسط والثانوي والجامعي، فلا تحصل الفائدة التعليمية إذا كان الخطاب التعليمي لا يتناسب ومستوى المتعلمين.

2-2- وظيفيّة الحُجج في الخطاب التعليمي:

يستخدم المعلم أنواعا من الحجج لتوصيل مادته، ومنها الحجّج المؤسَّسة على بنية الواقع ، وهي تجعل أحكام المتكلم مثبتة ومقبولة، وهو مسعى اتجاه المتعلمين، لتثبيت محتويات التعليم عبر طرائق، مثل نشاط التعبير الكتابي في وضعية إدماجيّة بطلب كتابة موضوع ينتمي للوحدة التعليمية المعروضة، مع دمج معارف مكتسبة وظيفيا، ونصه كالآتي: اكتب خمسة عشر سطرا تتحدث فيها عن موضوع موظفا شاهدا وأسلوب استفهام وتشبيه... وهذا حضور حجاجيّ في محتوى تعليميّ.

ويستند المعلم على الحجّج المُؤسِّسة لبنية الواقع « كالمثل الذي يُؤثَر به لتأكيد الفكرة المطروحة ، ويلحق بالمثل: الاستشهاد بالنصوص ذات القيمة السّلطوية على

المخاطب كالمقولات الدينيّة أو كلمات القواد الخالدين»[37]، يستحضر هنا المعلم نصوص ورموز وشواهد لإزالة الإبهام الحاصل لدى المتعلم، كأن يُوظف الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة والأشعار، لتعزيز أطروحاته، تتوفر في نشاط التعبير الشفوي بموضوع برُّ الوالدين.

تُستخدم حجّة التبرير وأداتها "بما أنّ"، المتجسدة أكثر في المجالات الفكريّة [38]، وهذا ما نلمسه في الخطاب التعليمي الموجه لطلبة الجامعة مثلا، ونجدها أيضا في الأنشطة التعليمية في الأطوار الأخرى لاسيّما في تعليمية الظواهر اللغوية النّحو والصرف، ويستعمل المتكلم حجّة الاتّجاه ومجالها تربويّ وظيفتها التحذير أو الترغيب، ومثالها تعليم التلاميذ القيم الأخلاقية التّي تتخلل الممارسة التعليميّة متوفرة في نشاط القراءة والمطالعة والنّص التواصليّ.

أمّا الحجّة التّواجديّة المبنيّة « على علاقات الشّخص، وفيها يحرص على الظهور بمظهر من لا يُرَدُّ له قول ولا يُفَنَّدُ له رأي »[39] ، وميدانها الخطاب التعليمي الجامعي؛ فهو متلق متعلم في حالة اكتساب معارف وتخزينها ، بهذا يعدّ المتلقي« في الخطاب التعليمي الجامعي (الدرس الجامعي) فاعلا جامعيا، أي أنه يتكون من مجموعة من الطلبة يبحثون عن معرفة حددتها هذه المؤسسة (الجامعة)، و هذه المعرفة لديها دعامة تتمثل في الفاعل الأول –المتكلم (الأستاذ)، و هذا المتلقي يخضع بدوره لتعليمات (التزامات) هذه المؤسسة، و باعتباره متلقيا لا يمتلك إمكانية تحوله إلى متكلم رئيسي، كما هو الحال في الخطابات الأخرى (العادية مثلا) »[40]، فالمعلم يملك سلطة القول وهو الذي يملك المعرفة فيحتل بهذه السلطة رتبة المتكلم الرئيس.

كما يستحضر المعلم في تبليغ محتواه التعليمي الحجّة التاريخيّة، والتي يعمد فيها إلى ذكر حدث لإقناع المتعلمين بصحة محتواه ، وهي حجّة رابطة لنتيجة

الخطاب التعليمي مع مقدمتة (المعطيات)، بالمقابل تتوفر الحجّة المضادة (المعاكسة) لدى المتكلم المعلم وهي احتياطية؛ إذ تُرجى وظيفتها في الخطاب الحواري، فيستعمل المتكلم حدسه في حال ما رفض السامع حجته الأولى، فيكون مستعدا بوضع حجج مضادة، وميدان هذه الحجة المحاضرات التي يكون موضوعها موضوع اختلاف ،وحَدُّه مُقسّم لفريقين، مثلا في محاضرة "نشأة اللغة" محتوى تعليمي يقدّم ضمن خطاب تعليمي فلسفي جامعي، وفحواه أنّ الفريق الأول يُقر بأنّ اللغة وحيٌّ وإلهام في حين يذهب الفريق الثاني إلى أنّ اللّغة وضع وإصطلاح.

يُستنبط من حجاجيّة الخطاب التعليميّ حجج نموذجيّة، وهي النّموذج الوصلي للحُجّة ، ومؤداها وصل معارف آنية بمعارف مكتسبة آنفا، ومفاد النّموذج الاتّصالي للحُجّة الفعل المشترك بين المتكلم والمستمع، في توجّيه الأول وتقويم الثاني[41]، ويستعين بها المعلم في مدى فهم المتعلمين لمحتواه التعليمي، والتقويم ثلاثة أصناف: تقويم تشخيصي وتكويني وتحصيلي، وهو آلية تمييز درجة فهم المتعلمين للخطاب التعليمي من خلال إخضاعهم للتمارين أو الاختبارات.أمّا النّموذج الايصالي للحُجّة تمثله الحجّة التّوجيهيّة من زاوية أنّ الحجّة فعل استدلاليّ وظيفيّ [42]

تسعى التداولية –سعيً الخطاب التعليمي– إلى استخدام أنواع الحجج وسائلا تعليمية وآليات تدريس.

2-3- الخطاب التعليمي وأنواع الحجاج:

يتأسس الخطاب التعليمي على أنواع حجاج؛ إذ يتم تصنيف هذه الأنواع من الحجاج حسب توظيف نوع الحجة ، وفيما يلي بيان لعلاقة أنواع الحجاج بالخطاب التعليمي:

يستعمل خطاب التعليم الحجاج التّوجيهيّ في توجيه المتعلم ، للمحتوى التعليميّ؛ بالمقابل نجد الحجاج التّجريديّ يدحض كل ما يعترض صحة المحتوى

التعليمي، لأنّ وظيفة المعلم إقحام حجة للبرهنة على صحة مقدمة نتيجتها معلومة لدى السامع المتعلم، لكن يحاول المتكلم المعلم تأكيد صحتها في ذهنه، ويستخدم خطاب التعليم الحجاج التّقويميّ، إذ تكمن علاقتهما في« وهو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل»[43]، كأن يقدّم المعلم طرحا ثم يدعمه بأمثلة، كما يستعمل المعلم الحجاج وجه/ذات في مواجهة المتعلم بأقواله وأفعاله كحجة، وهو حيلة بصنف الوسيلة لإقناع المتعلم، نجد هذا النوع من الخطابات في نشاط الإملاء؛ إذ يعمد المعلم بشرح وتقديم المحتوى التعليمي، ثم إذا حضر الإملاء يوقعهم في الغلط ثم يُصوّب، فيحدث اقتناع وترسيخ في الذهن للمحتوى المعروض.

يقيم الخطاب التعليمي علاقة مع الحجاج السّلطوي علاقة، تخص المعلم فَتُوجِبُ عليه المعرفة و الدراية بما يُعلّم، ويشترط فيه أن تكون له« قدم راسخة وباع طويل في المجال الذّي يتحدث عنه»[44]، لا تتحقق الأهداف التعليمية إذا كان المعلم يجهل ما يقدّمه.

أمّا علاقة التعليم وحجاج القُوة كامنة في الإخضاع والإذعان، حيث يكون المتعلم المستمع أقلّ منزلة من المعلّم المتكلم، فيطبق ما أمر به ، ويستدعي فعل التعليم عنصر الحماسة باستخدام الحجاج الجماهيري وفيه« يتوجّه متكلم إلى جماعة معيّنة بغية إقناعهم بأمر معين، فإذا تحمسّوا له وتحركوا في سبيل إنجازه كان الحجاج قد أدى غايته»[45]، ويكثر هذا في المحتويات التعليمية التي تعتمد السؤال والجواب، وبحظ أوفر يكثر استخدام هذا الخطاب التعليمي الحجاجيّ في الطورين الابتدائي والمتوسط.

3- الخطاب التعليمي من منظور الأفعال الكلاميّة:

تسعى نظرية أفعال الكلام كشف القوى الإنجازية في الخطاب التعليمي ضمن أبعاد مقصديّة تبليغيّة، تواصليّة تفاعليّة، إفهاميّة تأثيريّة يُحققها المعلم في متعلميه ،

وتظهر على أرض الواقع على شكل خبرات ومهارات، والتداوليّة« تهتم بالعلاقات القائمة بين الأدلة ومستعمليها واستعمالها وآثارها»[46]، ذاك الأثر الذي يظهر في «الاستعمال اللغوي ليس هدفه إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه» [47]، وهذا ما تسعى إليه التداولية بتفعيل نظرية الفعل الكلاميّ لتحقيق أهداف تعليمية.

3-1- الخطاب التعليمي والفعل القولي :

هو فعل متعلق بالمعلم يتمثل في عملية إنتاج الخطاب، وصناعة محتواه، والتلفظ به، ويتجسد في حيّز واقعي في مؤسسة تعليمية.

3-2- الخطاب التعليمي والفعل الإنجازي:

يتمثل في القوى الإنجازيّة للأفعال المتلفظ بها ، ويشترط فيها القصدية والإبلاغية كالنصح والاستفهام والأمر والتحذير والوعد.. نحو أن يستعمل المعلم الاستفهام في أول خطابه لإشراك متعلميه في افتتاح المحتوى التعليمي، ويُقاس عليه كل استخدامات أفعال الاستفهام في العملية التعليميّة مع تباين أطوارها

3-3- الخطاب التعليمي والفعل التأثيري:

يتمثل في الأثر الذي يخلفه الفعل الإنجازي، وما يصدر عن المتلقي، وقد تكون آثاره فكرية أو جسدية أو شعورية، وبه تُكشف حالة المتعلم إثر تلقيه محتوى تعليمي إمّا فهما أو غموضا، وتتجلى وظيفيّة وتواصليّة نظرية أفعال الكلام في الخطاب التعليمي ، في أفعال الحكميّات وهي أفعال الحكم يصدرها قاض أو حكم ، وقد يُصدر المعلم أحكاما في صورة أفعال ضمن التدريس، وتكثر هذه الأفعال في مادة النحو والإعراب والإملاء، أمّا أفعال القرارات فهي حق يمارسه المقرر باتخاذ قرار، قد يُمارس المعلم أفعالا يتخذ فيها قرارا في صيرورة الدرس، كأن يقرر كيفية بداية الدرس، وأن يُعين من يجيب على سؤاله.

أمّا أفعال الوعديات لتعهد والتزام بفعل محدد، ووجوب القيام به نحو: أقسم، أتعهد، أضمن...قد يتعهد المعلم متعلميه بالجزاء عند إصابة الجواب، فخطاب المعلمين يتكيّف وطبيعة المادة التعليمية وحالة المتعلمين ،أمّا أفعال السّلوكيات فهي مواقف أو ردود فعل لسلوك معين، تجسد موقف المتكلم نحو متلق كالاعتذار، والشكر والترحيب، وتتجلى في نتائج الاختبارات ونشاط الأعمال الموجهة مثلا.

أمّا أفعال الإيضاحات فهي توضح علاقة الكلام بالموقف التواصلي، فتستعمل لبيان وجهة نظر أو رأي نحو: الإثبات، التأكيد، الشرح، الإنكار...وهي أفعال ميدانها الخطاب التعليمي بامتياز، فالمحتوى التعليمي يحتاج للشرح والتأكيد والإثبات، وهي مطلب المتعلمين ، وتتوافر هذه الأفعال في المحتوى التعليمي الذي يعتريه الإبهام والغموض وصعوبة التوصيل.

4- الاستراتجيات التخاطبيّة والخطاب التعليمي:

تبيّن ثنائية (الإستراتجية والخطاب) في بعدها التعليمي علاقة الإستراتجية بفعل التعليم ؛ إذ يسعى الخطاب من خلال وظيفته التّعامليّة والتّفاعليّة إلى التّعبير عن مقاصد معينة، وتحقيق أهداف معينة.[48]

4-1- وظيفيّة الإستراتجيّة التّضامنيّة والخطاب التعليمي

تتبع من معيار اجتماعي، وإجمالا هي محاولة التّقرب من المتلقي وتقريبه، وهذا يتجلى في علاقة المتعلم بجمهور المتعلمين بمختلف أطوارهم ، فتوطيد العلاقة بين المتعلم والمعلم يسهل عملية الفهم والإفهام ، ومن أهداف الإستراتجيّة التضامنيّة في الخطاب التعليمي نقل المقاصد لتحقيق ، وتحسين التّعامل، إذا كان أحد قطبي التواصل صاحب سلطة ، حيث يتخذ التأدب والتخلق وسيلة لإيصال المقصد وتيسير الفهم. [49]

4-2- فعل التعليم واستراتيجيّة التّوجيه:

رافدها اجتماعي تُؤثر على المتلقي، والمتكلم باستعماله لهذه الإستراتجية يُمارس فضولا خطابيّا[50] يرتبط بفعل التّوجيه ، ومن أهدافها تجسّيد الصبغة الرسميّة في العمليّة التواصليّة، والحفاظ على التراتبيّة التّي تضمن استمرار الاحترام والتوقير[51]، إنّ التعليم خطاب رسميٌّ يتطلب التضامن والتوجيه.

4-3- التعليم واستراتيجيّة التلميح:

معيارها لغويّ، والتلميح فعل تداوليّ لا يباشر المتكلم فيه دلالاته الخطابية صراحة ، وإنّما يتعرض لها إيماء وإشارة، ويشترط في هذه الإستراتجية حين إنتاج الخطاب« تفعيل مبدأ التعاون والثقة، في أن المرسل إليه سيتمكن من تأويل الخطاب التأويل المناسب للسياق»[52]، ويلجأ المعلم لهذه الاستراتجية لتعزيز مبدأ المشاركة في الفعل التعليمي وتأسيس المعارف .

4-4- الخطاب التعليمي واستراتيجيّة الإقناع:

هي ممارسة كلامية تتجلى وظيفيّا في الخطاب التعليمي بالتأثير على المتعلم باستخدام الحجج والآليات الإقناعية، والاستراتجيات الداعمة ،وهي لغوية وغير لغوية نذكر منها :الجمل التفسيرية ويستخدمها المعلمون لإزالة اللبس جراء المشافهة ، كما نجد التكرار وسيلة يتوخاها المعلم لترسيخ المعلومة التي يراها بؤرة في مادته التعليمية، أما الاستراتجيات غير اللغويّة تتمثل في حركات المعلم كحركة اليدين والرأس، وتمركز الوقوف ، واختيار زمن المشي، والخطاب التعليمي خطاب إقناعي يتخذ من التداولية ميدانا خصبا لصناعة آليات، وانتخاب استراتجيات تُعزز تحقيق أهداف تربويّة.

5- تداولية التدريس والخصائص الإقناعية:

يُعدّ التدريس وسيلة التعليم لتوصيل المادة التعليمية، وتبرز خصائصه الإقناعية من خلال إسناده لثلاث عمليات تداوليّة إقناعية:

5-1- التدريس عمليّة اتّصـاليّة :

يوفر التدريس حيّزا تداوليا اتصاليا في محاولة المعلم « إكساب المتعلمين المهارات والخبرات التعليمية المطلوبة »[53]، تفضي بالمتعلم المشاركة في الموقف التعليمي لتأسيس معارفه، وهو المنهج الحديث في التعليم الذي يجعل من المتعلم محور العملية التعليمية.

5-2- التدريس عملية تعاونيّة:

يروم التدريس تطبيق مبدأ التعاون الذي أصل له "بول غرايس" **PaulGrice** ، والذي يوفر الإفادة في كل خطاب ، فمبدأ التعاون يقتضي أن تفعيل التدريس وظيفيا وجعله في متناول المتعلم محققا لأغراض تربوية.

5-3- التدريس عملية نظاميّة:

التدريس نظام متكامل له مداخلاته وتمثل المعلم والمتعلم، والمناهج الدراسية، وبيئة التعلم، وله مخرجاته وتشمل التغييرات المطلوب إحداثها في شخصية المتعلم، وله عملياته وتشمل الأهداف والمحتوى وطرائق التدريس والتقويم ؛ إذ يهتم علم الاجتماع بنظاميّة التدريس؛ بعدّه سلوكا تربويّا اجتماعيّا مهمّا يُعّبرعن تطوير الفرد لمجتمعه، ويتحقق التدريس فعلا تداوليا إنجازيّا حين يُميّز المعلم طبيعة متعلميه للمحتوى التعليمي، فيُشَّخِصُ حالتهم ومستواهم اتجاهه ، فينتخب الطريقة الأنسب لتبليغ درسه بتفعيل الحجاج وأفعال الكلام، واستراتجيات التخاطب ليُعزز جدوى الاتصال والوصل ليدعم غرض الإيصال للمحتوى التدريسي.

المنحى التداوليّ في التدريس كامن في وظيفيّة عناصر العملية التعليميّة ، ممثلة في تداوليّة المعلّم بوظيفة الإفهام والتبليغ ، وتداوليّة المتعلم بوظيفة الفهم والاستيعاب، وتداوليّة المحتوى التعليمي الملائمة والمناسبة، وتداولية طرائق التدريس

بوظيفتها الإيصالية ، وتداولية الهدف التعليمي بتجسيد الفائدة جراء تدريس وحدات تعليمية عبر أنشطة واختبارت وتمارين تقويميّة تقييميّة.

- **خاتمة:**

خلصت هذه الورقة البحثية لمجموعة من النتائج نذكر منها: الخطاب التربوي التعليمي خطاب تداوليّ وظيفيّ بامتياز، للوظيفة الاجتماعيّة المنوطة به في فعل التربيّة وفعل التعليم وفعل التدريس، غرضها إنساني يشمل الفرد والمجتمع.

تُبرمُ التعليمية عقدا بشراكة دائمة مع التداولية في توظيف النظريات التداولية في الخطاب التعليمي ممثلة في نظرية الحجاج؛ إذ يُوظف التعليم أنواع الحجج وأنواعا من الحجاج ، وفي نظرية الأفعال الكلامية، لأنّ فعل التربية وفعل التعليم وفعل التدريس أفعال تحمل قوى قولية وإنجازيّة وتأثيريّة، وفي الاستراتجيات التخاطبيّة إما توجيها وتلميحا وتضامنا وإقناعا، نفعيّة التدريس وخصائصه الإقناعيّة في الخطاب التعليمي تتأتى بتفعيل علاقته في عمليات وظيفيّة وهي: الاتصال والتواصل والوصل والتعاون والنظام.

الهوامش والإحالات:

[1] أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، مادة (خطب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 02، 1997، ص:361 .

[2] علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي ، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: 1 ،2003 ص: 136.

[3] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة: 2، 2006 ص: 215.

[4] ينظر: عبد الواسع الحميري، الخطاب والنّص–المفهوم والعلاقة والسلطة–مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة 1 ،2008 ،ص: 36.

[5] - ينظر: أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون،الرباط،المغرب،الطبعة1 ،2010 ،ص: 24.

[6] - ميجاني الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة: 3، 2003، ص:155

[7] Emile Benveniste : problèmes de linguistique général T.1 Editions Gallimard, paris, France ,p146.

[8]- ساميّة الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم –من الجاهليّة إلى القرن الثاني للهجرة بنياته وأساليبه– عالم الكتب الحديث، الطبعة: 1،2008 ، ص: 16.

[9] - ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص: 26.

[10] - ينظر: نفسه، ص:27.

[11]- ينظر صابر الحباشة، من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، الطبعة: 1، 2009 م، ص: 18.

[12]- ينظر: عبد الفتاح أحمد يوسف، اللسانيات والخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف ، الجزائر، الطبعة: 1، 2010، ص: 37.

[13] - محمد محمد يونس علي ، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة: 1، 2004، ص: 70.

[14] -ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي– الأصول والامتداد– دار الأمان، الرباط، الطبعة: 1، 2006، ص: 19.

[15] - ينظر: نفسه ، ص: 24، 25.

[16] - نفسه ، ص: 28.

[17] - عبد القادر المهيري ، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس،1986، ص: 39 ،40.

[18] - عبد الغني عبود، طبيعة الخطاب التربوي السائد ومشكلاته، إسلامية المعرفة، المعهد العالمي الاسلامي، الأردن، مجلد :8،العدد: 29، ص:48.

[19] - عبد الحميد الصيد ، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب، الطبعة 2 ، ص:24

[20]–مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية، بيروت، دار و مكتبة الهلال،1998،ص:18

[21] – نفسه، ص:46

[22] – أحمد محمد الطيب، أصول التربية، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة1، 2000، ص:21.

[23] – تفسه، ص:21.

[24] – نفسه، ص:21

[25] – محمد عطية، التربية و الإرشاد، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي، 1964،ص :11 ،12.

[26] – خالد محمد أبو شعيرة ،المدخل إلى علم التربية، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة: 1، 2010، ص 40.

[27] – ينظر: محمد التومي الشيباني، مقدمة في الفكر التربوي الحديث ، طرابلس، الجامعة المفتوحة، 1994،ص:256

[28] – زليخة علال ، التعليمية المفهوم ،النشأة والتطور، مجلة الآداب واللغات، جامعة برج بوعريريج، المجلد:2 ،العدد:4 جوان 2016، ص: 136

[29]– نور الدين أحمد قايدي وحكيمة سبيعي، التعليمية و علاقتها بالأداء البيداغوجي و التربية، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، العدد: 08، 2010م، ص:36

[30]– ينظر: عبد الكريم غريب وآخرون ، معجم علوم التربية ، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، المغرب، ص:68

[31]– سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، كفايات التدريس –المفهوم والتدريب والاداء–، دار الشروق للنشر والتوزيع, عمان ,الاردن, ص:16

[32]– عبد الله الأنسي وصالح سالم، تطور النظريات والأفكار التربوية، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، العربية السعودية، طبعة: 1999 ص:272.

[33] – سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم ص: 21.

[34] – جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2008، ص: 105.

[35] – اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمان، ص: 226.

[36] – محمد نظيف،الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، دار إفريقيا الشرق، 201، ص:152

[37] – محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة 1، 2008، ص: 48.

[38] – ينظر: صابر الحباشة، التّداولية والحجاج، ص: 48.

[39] – سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص: 235.

[40] – نوارة بن عياد، دراسة تداولية للخطاب التعليمي الجامعي باللغة العربية ،مجلة إنسانيات، الجزائر، المجلد :5 ، العدد: 14-15 ، ديسمبر،2001 ، ص: 136.

[41] – ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص: 255، 256.

[42] – ينظر: نفسه، ص: 255، 256.

[43]– نفسه: ص: 228.

[44] – محمد سالم محمد ،الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص: 199.

[45] – ينظر: نفسه، ص: 201.

[46]– عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة: 1، 2003م،ص: 08.

[47] – خليفة بوجادي، اللسانيات التداولية – مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القديم– الطبعة:1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ،ص: 89.

[48] – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة 1، 2004، ص: iv (المقدمة).

[49]– ينظر،نفسه ، ص:257.

[50] – ينظر: نفسه: ص: 322.

[51]– إدريس مقبول، الإستراتجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد (2/15)، المجلد الثامن، 1435هـ–2014م ص: 549.

[52] – عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 368.

[53]– عمران جاسم الجبوري وحمزة هاشم سلطاني ،المناهج وطرائق تدريس اللغة العربية، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة:1 ،2013 ، ص:141.